٣

اذار

أذار او آذار من ادارو البابلية بمعنى البيدر او الحصاد او الحقل . تدخل فيه الشمس برج الحمل . يقابله من الشهور الافرنجية « مارس » المسمى باسم والد روملوس باني رومية وواضع الاشهر الرومانية ، او باسم المريخ اله الحرب. كان الاقدمون يمثلونه بصورة رجل يلبس جلد ذئبة (رمزاً الى معبودهم اله الحرب) وحوله تيس من المعزى ، وسنونو ، ومركب ملآن لبناً وعشباً اخضر.

رأى اللبنانيون حالة هذا الشهر الجوية متقلبة لا تثبت على حال ، فتكون جميلة هادئة في بعض السنين،وردية مضطربة في غيرها ، فتضاربت فيه اقوالهم. فما قالوه عن رداءتها واضطرابها :

« اذار الهدار فيه الزلازل والامطار ، وفيه سبع ثلجات كبار ما عدا الصغار. » يريدون بالزلازل الانهيارات الارضية التي يكثر حدوثها في لبنان في هذا الشهر في السنين الغزيرة الامطار . و« في اذار تمطر في الليل اكثر من النهار .» ربما كان تعليل ذلك ان حرارة شمس الربيع توجد الشوشة في النهار وقلما تؤثر في رطوبة الليل فيخف المطر في الاول ويغزر في الثاني . و « امطار اذار تضيع الراعي عن باب الدار » ، اي تضلله عن باب منزله لغزارتها. و« في اذار البقرة بتعج وبتنادي آه على غبرة من غبرات البيدر » ،

اي ان سوء الحالة الجوّية من مطر وبرد تجعلها تتلهف على ايام تموز مع ما ينالها فيها من تعب في دياسة الحنطة وهي تجرّ النورج . و«خبي فحاتك الكبار لعمك آذار» لان البرد قد يشتدّ بعض السنين في اذار خلافاً لما يُنتظر فيه من جمال الطقس باقبال الربيع، فيحذّر الناس بهذا المثل من استنفاد كل الوقود المعدة للشتاء ويُنصحون باستبقاء جانب كبير منها لاذار لئلا ينالهم اذى فيه في صحتهم وراحتهم . ومعلوم ان برد الربيع هو اشد ضرراً بالصحة واعظم تأثيراً في الجسوم منه في اشهر الشتاء التي تتقدمه.

ومما قالوه عن جمالها وهدوئها : «في اذار بتنقل الشمس من برج الحوت وبتقول للبرد موت.» هذا في الغالب ولكل قاعدة شواذ و«في اذار بيمشش الدوري وبتورق الاشجار .» هذا في الساحل وبعض الوسوط . و«في اذار بيشهق الحمار» ، لظهور المرعى في الربيع . و«في اذار بيصيح حبل القرّ ما بقي على الدنيا شر .» وحبل القرّ صغار الضفادع تنقّ كل مساء في البرك والمستنقعات ، ونقيقها عندهم دليل على ادبار الشتاء واقبال الربيع . و«في عاشر آذار طلع بقرك عا لدار» لتحسن الحالة الجوّية.

ويرى الفلاحون ان نوم ماشيتهم من اذار فصاعداً في الفلاة معرضة للبرد الربيعي المعتدل انفع لها من نومها في الزرائب الموصدة الابواب، ويقولون في ذلك: «في اذار اذا سبقك جارك على مرعى الربيع اسبقه انت على نوم الصقيع .» على ان الجوّ في هذا الشهر لا يمكن الركون اليه لان الصحو والمطر قد يتعاقبان مراراً في النهار الواحد وقد قالوا: «في اذار بيترنخ الراعي وبينشف بفرد نهار.»

ويزعمون ان هذا التقلب اكثر ما يقع في ٢١ اذار المسمى باصطلاحهم «يوم نقطة الشمس» . ويحسبون الحساب للامطار التي قد تنهمل في هذا النهار فلا يخرجون في اثنائه الى سفر بعيد ولاسيما في الطرق الجبلية ، ولا يترك رعاة الماعز مشاتيهم الى المصايف قبل انقضائه ويسمي اهل الشوف هذا النهار «دنح شاني» وقد تقدم معنى الدنح اما شاني فقرية من الجرد غير بعيدة عن صوفر ويروون ان عجالاً (راعي العجول) في هذه القرية سرّح عجوله ذات يوم الى المرتفعات المجاورة وكان الجوّ صاحياً لكنه لم يلبث ان تعكر واشتد البرد

وانهمرت الامطار حتى اوشك احد العجول ان يموت دنقاً، فطرح الراعي الصوت على القرية فاسرع اليه الاهلون وذبحوا العجل وشرعوا في سلخ جلده، لكن سرعان ما طلعت عليهم شمس فياضة النور، شديدة الحرّ جعلتهم لا يقوون على انجاز عملهم لو لم يلجأوا الى ظل اشجار من السنديان نابتة في تلك الاعالي فقيل في ذلك: «اعجب من دنح شاني دنق العجل من البرد وسلخوه في القي» وفيه اشارة الى سرعة تقلّب الطقس في هذا الشهر.

وشمس اذار عندهم ليست نافعة على انها ليست ضارّة بمقدار ما تضرّ شمس شباط، لذلك اشتهتها العجوز لبنتها على ما مرّ بك في الكلام عن شباط.

ويعتمدون على آذار في تعديل موازنة المطر فان نقص في الكانونين وشباط غزر في اذار وتعرض النقص. وان زاد في الكانونين وشباط قلّ في اذار او انحبس فتعدّت الزيادة. ويقولون في ذلك: «السنة بآذارها ان أقبلت اذار وراها وان احلت اذار وراها»

ويستبشرون برعد اذار معتقدين ان الرعد في هذا الشهر بشير بالمطر في الشهر الذي يليه. «كل رعدة باذار مطرة بنيسان»

واهم ما يشتغلون به من شؤون الزراعة في هذا الشهر بالسواحل زراعة الحمص ويحبّونها لانها معجّلة الغلّة، ويقولون فيها: «الحمص متى اطلّ غلّ» ومعنى ذلك امكان الانتفاع به من حين ظهوره بتقديمه طعاماً للماشية، حتى اذا ظهر حبه اكله الناس اخضر. ويبيعونه في اسواقهم منادين عليه: «ام قاسيانة خضرا وملانة!» ويحين في هذا الشهر موعد حراثة الكروم لان الارض «تطيب» اي تصير متأهبة للحرث بسبب الحرارة الربيعية، فيباشرون ذلك ولو تحت المطر ومن اقوالهم بهذا المعنى: «في اذار حط القبع على رأسك وافلح» والقبع ما يلبسه الفلاح في رأسه لاتقاء المطر. ويقولون ايضاً: «في عيد الاربعين شاهد جاهد على كرمك جاهد» وهذا العيد للاربعين شهيداً يقع في ٩ اذار ومنه يبتدأ بشذب الكروم «تشحيله» وحراثته ويقولون: «الكرم اذا ما انفلح باذار بار»

وفي عيد الاربعين شهيداً يأكل فلاحو اللبنانيين «كبة الحيلة» وهي من السميذ يلتّ بالدقيق ويجبل بمسلوق البقطين او البطاطا ثم يقطع كتلاً تجوف

وتصقل وتحشى بالقورما والبصل المحمر والكشك او اللبنة وتطبخ كبباً او تقلى اقراصاً . ومن تقاليدهم جعل هذه الكبب والاقراص اربعينات على عدد الشهداء . وقد عرفت عجوزاً في احدى قرى الشوف عنّ لها في مساء هذا العيد ان تكرم الشهداء بأكل اربعين كبة بحساب واحدة لكل منهم فلم يمر عليها ساعتان حتى اصابتها تخمة اخمدت انفاسها فذهبت ضحية جهلها وتهمها .

وعيد الاربعين شهيداً هو عندهم آخر مرحلة من مراحل الشتاء ويقولون فيه : « بتظل الدنيا تجاهد لعيد الاربعين شاهد » اي ان الطبيعة تظل هائجة ثائرة حتى حلوله ومن بعده تخف وطأة البرد والمطر واذا حصل ثلج كان سريع الذوبان بفعول سخونة الربيع . اما معمان الشتاء فهو عندهم عيد القديس انطونيوس الكبير ابي الرهبان الواقع في ١٧ كانون الثاني ويسمونه « اشد الشدّ » اي ان الامطار والبرد والبروق والرعود والصواعق تكون فيه في اعلى درجة يمكن البلوغ اليها من القوة والشدة .

اما مواليد الماشية في هذا الشهر فافضلها عندهم الجحاش . لذلك يقولون « لا تقتني الا جحش اذار . »

وفي اذار يشرعون بتربية دود القزّ : « في عيد البشارة بزرك يا بزارة » اي قدموه الى المدخن : « والقز شيلة من آذار شيلة من نيسان » اي قسم منها ينتف في اذار وقسم آخر في نيسان . وهذا في الساحل . اما مواسم الجبل فتتأخر عن مواسم الساحل نحواً من شهر قياساً مطرداً .

ويعتقدون ان صفاء الجو يوم عيد البشارة بشير بالاقبال في موسم الحرير وان تلبده بالغيوم نذير بالاخلال بدليل قولهم : « يوم عيد البشارة اذا كان في السما غيمة دور الكارة ما بيطلع من القز ولا شكارة » ومنهم من يقول : « ولا اشارة » ومعنى اشارة في اصطلاحهم : الشيء القليل . والكارة دائرة من قماش يستعان بها في صنع الخبز اللبناني المعروف «بالمرتوق او المراشيح» . والشكارة القليل من الفالج (الشرانق) .

وفي عيد البشارة يكشف الاحداث نجتهم بتقليب الحدى باحثين تحت كل حصاة عن شعرة فاذا وجدوها نظروا في لونها فان كانت بيضاء تفاءلوا بها واستبشروا

في مستقبلهم خيراً وان كانت سوداء تشاءموا وخافوا ان ينالهم فيه مكروه.

وفي هذا الشهر تنمو الزروع وتصير على اهبة الاسبال ويقولون في ذلك : « اذار حبل ونيسان سبل » وهذا في الساحل اما في الجبل فيقولون : « نيسان حبل ونوار سبل »

وفي اذار « يقع زمن الاعتدال الربيعي » وتقول العامة في ذلك : « في ٢١ اذار يتساوى الليل والنهار » وبعد ذلك ياخذ النهار بالطول والليل بالقصر ، الى زمن الاعتدال الخريفي.

و ٢١ اذار هو آخر فصل الشتاء واول فصل الربيع . ومن عادتهم قسمة فصل الشتاء المؤلف من ثلاثة اشهر او تسعين يوماً والواقع بين ٢١ كانون الاول و٢١ اذار قسمين : اولهما ينتهي في عيد دخول المسيح الى الهيكل الواقع في ٢ شباط ويسمونه « الاربعينية » لانه مؤلف من اربعين يوماً ، وثانيه وهو المنتهي في ٢١ اذار يسمونه « الخمسينية » لانه مؤلف من خمسين يوماً ، ولهم قاعدة يستدلون بها مقدماً على حالة الطقس في القسمين ، اي « الاربعينية والخمسينية » وذلك انهم يرصدون مغيب الثريا ليلة عيد البربارة الواقع في ٤ كانون الاول ، فاذا غابت في صحو وجو رائق قالوا ان « الاربعينية » ستكون ناشفة اي قليلة المطر والخمسينية رطبة اي كثيرته ، والعكس بالعكس اي اذا غابت الثريا في يوم مطر وجو متجهم قالوا ان الاربعينية ستكون رطبة اي كثيرة المطر والخمسينية ناشفة اي قليل مطرها.

وفي هذا الشهر يكون الفلاح في التالب قد جاء على ما عنده من غلة مدخرة فيحتاج الى المؤونة ، فتسوء اخلاقه ، ولاسيما اذا كانت الحنطة قد ارتفعت اثمانها كما يحدث عادة . ولعل ذلك هو خير تفسير للقول الذي يرددونه وهو : « في اذار بتغلا المونة وبيكتر النقار »

وتتحسن الصحة في هذا الشهر لتقلص ظل البرد وظهور الربيع وخروج الناس الى البرية يتنشقون النسيم العليل ، ويشربون الماء الزلال ، لذلك يقولون : سأل نيسان اذار وهو راحل يا اخي اذار كيف فارقتهم ؟ اجاب اذار وهو يبسم : فارقتهم حمر موردين (بلون الورد) وعلى النهورة (الانهار) واردين »